دين امرئ القَيْس الشاعر الجاهليّ

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرمليّ (تتمّة)

ومن ادلّتهم ايضاً رادّين على القائلين بنصرانيّة امرئ القيس انهُ كان كنديًا . « ولم يرد فيما نقلوهُ ان النصرانيّة كانت في كندة (؟!!!) بل الذي ذكرهُ التوحيدي ان كندة كانت فيها اليهوديّة » فكيف يكون امرؤ القيس نصرانيًا .

قلنا : فالنتيجة تكون اذن كان يهوديًا الّا ان المعترض يقول مع ذلك انهُ كان وثنيًا وهو من القرابة بمكان . وعليهِ فكيف يجمع بين هاتين القضيّتين . اللهمّ الّا ان يقول ان في كندة كان غير اليهوديّة وهو عين الحق والصدق لان هذه القبيلة قبيلة عظيمة تشمل عدّة بطون واحياء وكان فيها الوثنيّة واليهوديّة والنصرانيّة والمجوسيّة والزدكيّة والصابئية والدهريّة الى غير ذلك . ولم تكن ابدًا على دين واحد . امّا ان النصرانيّة كانت في كندة فالشواهد على ذلك كثيرة منهـا ما ذكرهُ صاحب كتاب الخراج ص ٨٦ قال ما هذا نصّهُ :

ثمّ بعثَ (اي خالد بن الوليد) سَعْدَ بنَ عمرو الانصاريّ في جمع من المسلمين حتى انتهى الى صندوديا وفيها قومٌ من كندة ومن اياد فحاصرهم اشدّ الحصار ثمّ صالحهم على جزيّة يؤدّونها اليهِ وأسلم من أسلم منهم » اه

وقال ابن خلدون (٢ : ٢٤٩) : « وكان لقضاعة مُلكٌ آخر في كلب بن وبرة يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيّة » اه

واما من ذُكر من مشاهير كندة فمنهم حُجيّة بن المُضرّب الكنديّ الشاعر النصراني قال صاحب الاغاني (٢١ : ١٦) : « وكان نصرانيًا » ومنّ اشتهر من نصارى كندة عبد المسيح بن اسحق الكندي (١

هذا واننا وان كنّا رددنا على حجج بعض المخالفين لنصرانيّة امرئ القيس فلا

---

١) ولهُ رسالة يؤكد فيها بان النصرانيّة كانت غالبةً على قبيلتهِ (ه . ل .)

نقول مع ذلك انهُ كان نصرانيًا بل اردنا فقط ان نبيّن معايب ادلّة الخصم وضعف براهينهِ وسقط متاعهِ في أمور تواريخ العرب لا غير

امّا (الراي الثالث) فهو مذهب القائلين بانهُ لم يكن على دين معروف بل كان من المذبذبين فقد جاء في القاموس : « امرؤ القيس الملك الضليل الشاعر سليمان بن حجر رافع لواء الشعراء الى النار » اه. وقد روى في كتاب بلوغ الارب (٣ : ١٠٠) قولهُ : « امرؤ القيس بن حجر الكندي هو امير الشعراء . . . يجيء يوم القيامة وبيدهِ لواء الشعراء يقودهم الى النار » . فيروى ان كلًا من لبيد وحسّان بن ثابت قال : « ليت هذه المقالة فيّ وانا المُدّعَى فيها » اه

رأينا

اما رأينا الشخصيّ فهو ان امرأ القيس كان على المزدكيّة (١ وبهذا القول تصحّ جميع الاراء الثلاثة المذكورة وتُحلّ عُقد هذه المعضلة على هذه الصورة : ان الذين يذهبون الى انهُ كان وثنيًا لكونهِ عمد الى الاستقسام بالقداح فهذا امرٌ لا تنكرهُ المزدكيّة لانها تجيز كل محظور وتستحلّ كل منكر سوى القتل وبعض امور لا يؤبهُ لها .

(١ المزدكية بضم الميم وفتحها وسكون الزاي المثلثة الفارسية المقابلة لحرف ز الفرنسي او الحيم السورية الحالية بعدها دال مفتوحة نسبةً الى مُزدك . وقد ضبطها ياقوت في معجمهِ بميم مفتوحة وزاي مثلثة فارسية ساكنة فيكون لفظ اسم المبتدع هكذا Mujdac او Mojdac ويجوز لفظهُ بالزاي العربية الموحدة كما ذكرها سائر كتّاب العرب يعني Muzdac او Mazdac الّا ان كتابتها بالزاي المثلثة اصحّ لموافقتها لاصلها كما ذكرها صاحب البرهان القاطع في (٤ : ٣٠٠) وقد ضبط العرب ميم مزدك بالضم والفتح . امّا ضبطها بالضم فقد قال السيد المرتضى بعد مادة « زمك » : « ومما يستدرك عليهِ (زدك) وهو فعل مُمات (كذا والاصح ان يقال لا وجود لهُ في العربية لان قولهُ « مُمات » يُوهم بانهُ كان مستعملًا في عصر من عصور اللغة وهو غير صحيح) جاء منهُ مُزدك كمُقعد : اسم رجل . » اه . قلت : ومزدك غير مشتق من فعل واغا هو اسم اعجمي لا علاقة لهُ مع العربية

واما الفتح فقد قال السيد المذكور نفسهُ بعد مادّة « مزك » : ومما يستدرك عليهِ : مَزدك كجعفر وهو اسم رجل خرج في ايام قباذ والد كسرى [انوشروان] فاباح الاموال والنساء وعظم امرهُ وكثر اتباعهُ فلما ملك قباذ قتلهُ كسرى [انوشروان] مع جملة من اصحابهِ وبقي منهم جماعة يقال لهم المزدكيّة . اه . والاصح الكتابة التي نقلناها من ياقوت اعني بالزاي المثلثة كما ذكرها ايضًا فريتاك في معجمهِ (٤ : ١٧٤) لان الاعلام ان رُويت على لُغاتها كانت اصح واجمع ما ذكرناهُ في المشرق جذا المعنى وما اثبتهُ ابن خلدون في هذا الصدد

ثمّ ان سيرة هذا الرجل مما وقع لهُ مع النساء مما يؤيد هذا الراي ايضاً . ولمّا كان اغلب المزدكيين مُرائين في دينهم فهم يوافقون كل من يصادفونهُ بدون ان يبيّنوا لهُ ما هية دينهم ولكونهم كانوا مبغوضين من الجميع لم يدع امرؤ القيس في اشعارهِ ما يُشمّ منهُ رائحة مذهبهِ

وكذلك يتضح معنى بيت ذي الرّمة عند ما عيّر هذا اهل امرئ القيس وعشيرتهُ باكلهم لحم الخنزير وشربهم الخمر (١ لان المزدكيّة تجيز كلا الامرين بل تجيز افظع المنكرات كما هو مقرر في الكتب التي تبحث عن مذهبهم اذ ان مزدك « امرهم بتناول اللذات والاكباب على بلوغ الشهوات والاكل والشرب والمؤانسة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحُرُم والاهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الاخر ولا يمنعهُ » (انتهى بحرفهِ عن كتاب الفهرست لابن النديم ص ٣٤٢)

وهذا الراي يفسر لنا كيف ان البعض انخدعوا بقولهم انهُ نصرانيّ . وذلك لمّا كان مذهب المزدكيّة يُشبه بعض الشبه مذهب الثنويّة (بلاغ الارب ٢ : ٢٥٠) وكانت الثنويّة من فرق النصارى (٢ جاز لهم القول بنصرانيّتهِ وذلك بتعسُّف وتكلّف وعلى ضعف في القول

واماّ الذين اعتبروهُ من المذبذبين ومن الهالكين في النار فقد ساقهم الى ذلك كون المزدكيّة من مجترحي اعظم المنكرات واقبحها وهم لا يبالون بها وعليهِ فلم يرَوا في كلامهم اجحافاً او منقصةً عند ما اعتبروهم من الهالكين

الّا ان رأينا وان كان على ما يبين لاعيننا صحيحاً لكونهِ يفسّر اجلى تفسير كلّ ما أُشكل من ترجمة هذا الشاعر الجليل المفلق ويشرح احسن شرح ما جاء في ابيات شعرهِ فكان يحقّ مع ذلك لفريق أن يقبوهُ ولا يتخذوا لهُ محلاً لو لم يكن مدعوماً بنص واضح يسند هذا الراي فيتفق حينئذٍ والعقل النقل على هذا الامر فينقطع حبل الجدال ويبطل بين القوم القيل القال

هذا كان رأينا من مدّة الّا اننا لم نجسر ان نعرضهُ على القوم اذ تقرّرنا في الاسفار

١) قد سبق انّ هذا البيت لا يختصّ بالشاعر امرئ القيس (ه. ل.)

٢) راجع ما سبق قولهُ في هذا الصدد (ه. ل.)

عن شاهد يثبت لنا تاريخيًا هذا الراي فلم نجدهُ . وبينما نحن نبحث عن مادة تاريخية في معجم البلدان اذ عثرنا على ضالتنا نبهًا ففرحنا بها ولا فرح الغائب بلقاء أهلهِ . وهذا نصُّهُ : « ان الحارث بن عمرو المقصور بن حُجر آكل المرار وهو جدُّ امرئ القيس الشاعر كان قد تولَّى الحيرة في ايام قُباذ لدخوله في دين المزدكية الذي دعاهُ اليهِ قباذ ونفى النعمان عنها واشتغل بالحيرة عمَّا كان يراعيهِ من امور البوادي فتفاسدت القبائل من تزار فاتاهم اشرافهم وشكوا اليهِ ما نزل بهم ففرق اولادهُ في قبائل العرب (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٢٩٨) اه . فهذا كلام صريح يظهر بان جدَّ امرئ القيس كان مزدكيًا وكان مقيمًا في الحيرة وقد ولَّاهُ قُباذ لكونهِ دخل في دينهِ ولذلك نفى النعمان عن الحيرة لكونهِ كان نصرانيًا ولم يرد الدخول في هذا الدين اللعين . — وليس ياقوت وحدهُ يقول هذا القول بل ابو الفداء ايضًا فقد قال (١ : ٧٨) ما هذا حرفهُ : « وقوي الحارث المذكور ووافق كسرى قُباذ بن فيروز على الزندقة والدخول في مذهب مزدك فطرد قُباذ المنذر بن ماء السماء اللخميّ عن الحيرة واقام الحارث المذكور موضعهُ فعظم شأن الحارث » اه . ومثل هذا القول قال ابن الاثير (١ : ١٨٢) وهذا كلامهُ : « فلمَّا تولَّى قباذ بن فيروز الفرس خرج في ايامهِ مزدك فدعا الناس الى الزندقة كما ذكرناهُ فاجابهُ قباذ الى ذلك وكان المنذر بن ماء السماء عاملًا للاكاسرة على الحيرة ونواحيها فاجابهُ قباذ الى الدخول معهُ فامتنع فدعا الحارث ابن عمرو الى ذلك فاجابهُ فاستعملهُ على الحيرة وطرد المنذر عن ولايتهِ » اه . وقال الاصبهاني صاحب الاغاني (٨ : ٦٣) ما هذا حرفهُ : « لمَّا تولَّى قباذ بن فيروز خرج في ايامهِ رجل يقال لهُ مزدك (وفي الاصل مردك براء مهملة وهو من غلط الطبع) فدعا الناس الى الزندقة واباحة الحُرم وان لا يمنع احد منهم اخاه ما يريدهُ من ذلك وكان المنذر بن ماء السماء يومئذٍ عاملًا على الحيرة ونواحيها فدعاهُ قباذ الى الدخول معهُ في ذلك فابى . فدعا الحارث بن عمرو فاجابهُ فشدَّد لهُ سلطانهُ وطرد المنذر » اه . ثم ذكر بعد ذلك كما ذكر سائر المؤرخين المرماليهم ان انوشروان لمَّا تربع على عرش المملكة امر بقتل الزنادقة فقتل في ضحوةٍ واحدة مائة الف زنديق (١ وطلب انوشروان

١) كذا ورد في الاغاني . وقد جاء في البرهان القاطع لمة عن هؤلاء الزنادقة في غاية الافادة قال (٤ : ٣٠٩) : مُزدك وزان مُزدك اسم رجل ادَّعى النبوة في عهد قباذ والد كسرى

الحارث بن عمرو ليقتلهُ لانهُ كان مزدكيًا فلم يظفر بهِ . الى آخر ما هنالك من تتمة القصة وليس فيــهِ ادنى اشارة الى نصرانيَّتهِ ولا الى نصرانيَّة واحدٍ من اولاده

وقد اتفق مؤرخو الافرنج ومؤرخو العرب على ان قباذ كان مزدكيًا لا مانويًا ما عدا ابن خلدون فانهُ قال (٢ : ٢٧٤) ان قباذ كان على دين ماني فاجابهُ الحارث بن عمرو على ذلك ووافقهُ . ونظن ان سبب هذا الوهم ان ابن خلدون نقل روايتــهُ عن احد المؤرخين القائلين ان قباذ كان زنديقًا (١ وقد كانت هذه اللفظة تقع على المزدكي والمانوي والثنوي ونحوهــم فلمَّا اراد ان يزيد الكلام وضوحًا بحلّ وثاق الاطلاق من كلمة الزنديق ليربطها برباط التخصيص وقع في هاوية الوهم فقال ما قال . على ان ابن خلدون خالف هنا ما وضعهُ من الأُسس المتينة في مقدّمتهِ (٢ : ٢٧٦) عند ذكرهِ شروط تدوين الامور التاريخيَّــة فذكر ما ينقض كلامهُ الاول ويجعلنا ان لا نلتفت الى ما روى في ما سبق قبل صفحتين ولا ان نلتفت اليهِ هنا وهذا نصُّ كلامهِ : « . . . وولي بعدهُ (اي بعد حجر آكل المرار) ابنهُ عمرو بن حُجر ثم ابنهُ الحارث المتصور وهو الذي ابى ان يتزندق مع قباذ ملك الفرس فقُتل في بني كلب ونُهب مالهُ . اه . مع انهُ قال قبل ذلك انهُ اجاب قُبــاذ عند ما دعاهُ الى الزندقة وعليهِ فلا اعتماد على ابن خلدون في هذا الامر لمناقضتهِ لنفسهِ

ومن ثمَّ فالنص الذي اورد في شعراء النصرانيَّة يحتمل وجهين فاما ان يكون الناسخ قد اتى من عندهِ بقولهِ : « وكانت فيهــا (اي في الحيرة) النصرانيَّة وبقي عليهــا » واما ان يكون قد ابدل كلمة « المزدكيَّة » فغيرها بلفظة « النصرانيَّة »

انوشروان وكان يزعم ان النور والظلمة ازليَّان وان فعل النور اختياري وفعل الظلمة اضطراري واتفاقي . وان شاعر عبادة النار حقٌّ هي . . وان جميع الاشياء مباحة للجميع وان زوج زيد تحلّ لعمرو وزوج عمرو تحلّ لزيد . . . وليس لواحدٍ شيء مختصًّا بهِ على حد ما ينصرف بهِ غيرهُ . . . وتبعهُ جمٌّ غفير . وممن انتحل مذهبهُ قُباذ شاه بزرندوست نفسهُ لموافقتهِ لطبيعتهِ فصدَّق ما جاء بهِ مزدك وسهَّل في وجههِ اجراء شاعر دينهِ . ولمَّا قبض ابنــهُ انوشروان على زمام المُلك امر بقتل مزدك واتباعهِ فهلك مع ٨٠ الفًا من بدعتهِ . وضبط صاحب كتاب مؤيد الفضلاء هذه اللفظة بضمّ الميم وسكون الزاي العربيَّة » . اه كلام البرهان

١) راجع ايضًا في معنى لفظة الزندقة ما جاء في المشرق ١ : ٦٨١–٦٨٤ ففيهِ كفاية للباحث عن معنى اصل اللفظة وعمَّن تسمَّى بهذا الاسم وغير ذلك من الفوائد الجليلة التي لا ترفها مجموعة في كتاب من كتب العرب لا قديمة ولا حديثة

ظنًا منهُ انها من اغلاط النسّاخ لان الحيرة مشهورة بنصاراها فتنتج منها ما تنتج . اما كون المزدكيَّة كانت في الحيرة فهو امرٌ لا يحتـاج الى ايضاح (١ اولًا لان الحيرة يومئذٍ كانت بيد الفُرس وكانوا مجوسيَّـة ومن طبعهم ان يحاموا من كان على مذهبهم ولا شيء هناك ينفي وجودهم فيها . ثمَّ جاء قباذ فانتحل المزدكيَّة وتبعهُ قومٌ كثير من رعيتهِ تأسيًا بهِ ففشت المزدكية من ذلك الحين في الحيرة التي كان فيهـا من جميع اخلاط الناس وطوائفهم واديانهم . ثانيًا قد جاء في كتاب المعارف لابن قُتيبة عند الكلام عن اديان العرب في الجاهلية قال : « وكانت الزندقة في . . . اخذوها من الحيرة (٢ » ولا جرم ان المراد بالزندقة هنا المزدكية . اما تسمية المزدكية بالزندقـة فواضح من ايراد النصوص المتقدَّم ذكرها عند الكلام عن دين قباذ ودعاء الحارث اليهِ فان مؤرخي العرب اطلقوا عليهم تارةً اسم المزدكية وطورًا اسم الزنادقـة . ثالثًا جاء في كتاب بلوغ الارب ما هذا لفظهُ « قول ابن قتيبة : اخذوها (اي الزندقة) من الحيرة » فانها كما اسلفنـا في الكلام على حكّام الحيرة من بلاد الفرس وان كان سكنتها وحكّامها من العرب المتدينين بدين الفرس او دين المسيح » اه

فقد تبين من ايراد هذه النصوص وذكر الشواهد وسرد البراهين والادلة ان جدّ امرئ القيس كان مزدكيًا وحاربهُ انوشروان لكونهِ بقي على هذا الدين ولم يُذكر عن ابنهِ ولا عن حفيدهِ ما يشعر بان واحدًا منهما ترك دين ابيهِ أو جدّهِ وتمسَّـك باهداب دين آخر بل بالعكس ان تتالي الوقائع من اخذ الثار بدم الحارث بن عمرو ما يُبين ان الابن والحفيد بقيا على ذلك الدين اللعين . والله المعين . على ايضاح الحق المبين (١

---

١) وهذا ما تنكرهُ قائلًا لا نعلم بنصّ واضح يدلّ على وجود المزدكيَّة في الحيرة ومن ثمَّ لا نقبل هذا البرهان (٥. ل.) ٢) المقصود بالحيرة هنا بلاد العراق حيث كان تجار قريش يترددون لتجارتهم . ومن ثمَّ ترى بعض الكتبة يرون انَّ الكتابة اتتهم من الحيرة ويروى غيرهم الاثار والمقصود جهات بابل والعراق (٥. ل.)

١) اما نحن فنرجح نصرانيَّة امرئ القيس لا انَّ نصرانيَّتهُ كنصرانيَّة غيرهِ من العرب لاسيَّما الشعراء منهم اعني اغلبهم في الغالب لم يبالوا بفرائض الدين . وللدين في شعرهم آثار قليلة جدًّا لا تكاد تتميز وكذلك الامر في شعر شعراء اليهود من العرب واذا فحصتَ شعرهم وجدتهم متشاجين في الاقوال والمعاني بحيث يصعب تمييز الوثنيين عن اليهود والنصارى أفترى احدًا يشكّ بنصرانيَّة الاخطل ولا ترى مع ذلك في شعرهِ من آثار دينهِ الّا ما لا يُعتد بهِ (٥. ل.)